

روح المعاني

أصل الكلام فطلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لأن يتراءى قبل التأمل لظهور الخضوع في العنق بنحو الانحناء أنه هو الخاضع دون صاحبه وترك الجمع بعد الاقحام على ما كان عليه قبل وقال الكسائي : إن خاضعين حال للضمير المجرور لا للاعناق . وتعقبه أبو البقاء فقال : هو بعيد في التحقيق لأن خاضعين يكون جاريا على غير فاعل ظلت فيفتقر إلى إبرار ضمير الفاعل فكان يجب أن يكون خاضعين هم فافهم وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد والأخفش : الاعناق الجماعات يقال : جاءني عنق من الناس أي جماعة والمعنى ظلت جماعتهم أي جملتهم .

وقيل : المراد بها الرؤساء والمدمون مجازا كما يقال لهم : رؤوس وصدور فيثبت الحكم غيرهم بالطريق الأولى وظاهر كلامهم أن إطلاق العنق على الجماعة مطلقا رؤساء أم لا حقيقة وذكر الطيبي عن الأساس أن من المجاز أتاني عنق من الناس للجماعة المتقدمة وجاءوا رسلا رسلا وعنقا عنقا والكلام يأخذ بعضه باعناق بعض ثم قال : يفهم من تقابل رسلا رسلا لقوله : عنقا عنقا أن في إطلاق الاعناق على الجماعات اعتبار الهيئة المجتمعة فيكون المعنى فطلوا خاضعين مجتمعين على الخضوع متفقين عليه لا يخرج أحد منهم عنه .

وقرأ عيسى وابن أبي عبله خاضعة وهي ظاهرة على جميع الاقوال في الاعناق بيد أنه إذا أريد بها ما هو جمع العنق بمعنى الجارحة كان الاسناد اليها مجازيا ولها في القراءة صلة ظلت أو الوصف والتقديم للفاصلة أو نحو ذلك لا للحصر وظلت عطفت على نزل ولا بد من تأويل أحد الفعلين بما هو من نوع الآخر لأنه وإن صح عطف الماضي على المضارع إلا أنه هنا غير مناسب فانه لا يترتب الماضي على المستقبل بالفاء التعقيبية أو السببية ولا يعقل ذلك والمعقول عكسه وتأويل أحد الفعلين يدفع ذلك لكن اختار بعضهم تأويل ظلت بتظل وكأن العدول عنه اليه ليؤذن الماضي بسرعة الانفعال وأن نزول اية لقوة سلطانه وسرعة ترتب ما ذكر عليه كأنه كان واقعا قبله وبعضهم تأويل نزل بأنزلنا ولعل وضعه موضعه لاستحضار صورة إنزال تلك الآية العظيمة الملجئة إلى الايمان وحصول خضوع رقابهم عند ذلك في ذهن السماع لتعجب منه فتأمل .

وقرأ طلحة فتظل بفك الادغام والجرم ضعف الحريري في درة الغواص الفك في مثل ذلك ورجح صاحب الكشف القراءة بانها أبلغ لافادة الماضي ما سمعته انفا هذا والظاهر أنه لم يتحقق انزال هذه الآية لأن سنة الله تعالى تكليف الناس بالايمان من دون الجاء نعم إذا قيل : المراد آية مذلة لهم كما روي عن قتادة جاز أن يقال بتحقيق ذلك ولعل ما روي عن ابن عباس

كما في البحر والكشاف من قوله نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية ستكون عليهم الدولة فتذل أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ناظر إلى هذا وعن أبي حمزة الثمالي أن الآية صوت يسمع من السماء في نصف شهر رمضان وتخرج له العواتق من البيوت وهذا قول يتحقق الانزال بعد وكأن ذلك زمان المهدي رضي الله تعالى عنه ومن صحة ما ذكر من الأخبار في القلب شيء والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين .
5 .

- بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم كما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة تأكيداً لصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم